إنجيل بولس في الرسالة إلى أهل غلاطية

الخوري نعمةالله الخوري

تسيطر كلمة إنجيل على أفق الرسالة إلى أهل غلاطية (١:٧، ٩، ١١؛ ٢:٢، ٥، ٧، ١٤...)، ولعلّ تصميم هذه الرسالة يتمحور حول إنجيل بولس الذي بشّر به هناك. فبعد أن غادر مدن غلاطية، وردته الأخبار أنّ أهل تلك المناطق ارتدوا عن إنجيله الذي أعلنه بينهم وتبعوا إنجيلاً آخر (١:٦)، لذلك انبرى الرسول يكتب هذه الرسالة إلى الغلاطيّين ليدافع عن سلطة إنجيله.

هنا نتساءل: هل بشّر بولس بإنجيل خاص به يختلف عن الإنجيل الذي عرضه الإنجيليّون الأربعة؟ ما هو مضمون إنجيل بولس؟

أوّلاً: الغلاطيّون يرتدّون عن إنجيل بولس

يُخبرنا بولس عن وجود جماعة تُثير البلبلة بين أهل غلاطية، وهؤلاء القوم أرادوا تغيير إنجيل المسيح (١:٧)، وأن يفصلوا أهل غلاطية عن ارتباطهم بالرسول (٤:١٧)، محاولين أن يفرضوا شريعة الختان عليهم (٥:٢؛ ٦:١٢). إنّ إنجيل بولس الذي بشّر به في غلاطية هو ضرورة تبشير اليهود والوثنيّين على حدّ سواء. كان أعمدة الكنيسة (بطرس ويعقوب ويوحنّا) يتحفّظون على رسالة بولس ومعاونيه بين الأمم الوثنيّة، وظلّت الكنيسة الأولى في أورشليم ذات طابع يهو – مسيحي، وكان الرسل قريبين من الممارسات والطقوس التي تفرضها الشريعة الموسويّة. غير أنّ واقع الحال كان يختلف في انطاكية التي أضحت مركزاً تنطلق منه الرحلات التبشيريّة بين الوثنيّين.

إنّ الانغلاق والتقوقع في أورشليم، كان يقابله انفتاح وتوسيع البشارة لتصل إلى الوثنيّين في مختلف الكنائس التي بشّر فيها بولس؛ هذا الواقع كان يشكّل خطراً كبيراً على الكنيسة الناشئة؛ فقد خاف الرسل، في أورشليم، من نجاح رسالة بولس بين الأمم الوثنيّة، لذلك يبدو أنّهم أرسلوا المرسلين إلى هؤلاء الوثنيّين ليحاولوا أن يفرضوا عليهم شريعة الختان (٢:١٢). قَبِلَ البعض في غلاطية بهذا الواقع وحدثت هناك بلبلة؛ خاف الرسول من فرض الشرائع الموسويّة على المرتدّين من الوثنيّة، لأنّ هذا يناقض إنجيله، فكتب رسالته في هذه الأجواء المحمومة، وظهرت النبرة القاسية في لهجته حين حاول الدفاع عن إنجيله.

ثانياً: بولس يدافع عن إنجيله

استعان بولس بعدّة براهين ليدافع عن سلطته الرسوليّة وعن الإنجيل الذي يُبشّر به بين الغلاطيّين؛ يقوم بهذا الدفاع عبر ثلاثة مراحل:

١ – رواية خبر ارتداده (١:١١-٢٤)

في مرحلة أولى يؤكّد بولس أنّه لم يتسلّم سلطته الرسوليّة من أحد، بل نالها من المسيح القائم من بين الأموات على طريق دمشق (١:١٢)؛ هذا ما دفعه لكي يروي سيرة حياته قبل أن يرتدّ إلى الإيمان وبعد اهتدائه. في الأيّام الأولى لرسالته المسيحيّة، لم يذهب بولس إلى أورشليم بل ذهب إلى بلاد العرب (١:١٧)، ثمّ بعد ثلاث سنوات صعد إلى أورشليم (١:١٨). لا يريد بولس في عرضه هذه المُعطيات السيرويّة أن يروي قصّة حياته، بل هو يردّ على انتقادات خصومه الذين يتهجّمون على سلطة إنجيله وعلى صفته الرسوليّة. إنّ سيرة حياة الرسول تُثبتُ

أنّ له السلطان أن يحمل الإنجيل إلى الوثنيّين.

٢- ايراد تعاليم مجمع أورشليم (٢:١-١٠)

في مرحلة ثانية يُعلن الرسول أنّ اللقاءات الأولى بينه وبين أعمدة الكنيسة في أورشليم (٢:١-١٠) كشفت أمام المؤمنين معنى الإنجيل الذي ينادي به؛ في هذا المجمع، عرض بولس إنجيله (غل ٢:٢) الذي يعلنه بين الوثنيّين، وذكر الآيات والمعجزات التي أجراها الله بين الوثنيّين (أع ١٥:١٢). إضافة إلى خطبة بولس، نجد في أعمال هذا المجمع خطبة بطرس التي تُشدّد على كيفيّة قبول الوثنيّين في بيت كورنيليوس العماد، وقد نالوا الروح القدس (أع ١٥:٥-١١). وافق يعقوب على تبشير الوثنيّين (أع ١٥:١٣-٢٢) وصدرت قرارات مجمع أورشليم التي تسمح لبولس بالتبشير بين الوثنيّين.

هكذا نلاحظ أنّ بولس لم يروِ الأحداث المرافقة لمجمع أورشليم في سبيل عرض أحداث تاريخيّة، بل استنتج من هذه الأحداث أنّ إنجيله (الذي يعني تبشير اليهود والوثنيّين على حدّ سواء) لا يتعارض مع تعليم الكنيسة، بل بالعكس، فإنّ مجمع أورشليم عهد إلى بولس تبشير الوثنيّين (غل ٢:٧).

٣- حادثة انطاكية (٢:١١-١٤)

في مرحلة ثالثة عرض بولس برهانه السيروي الثالث مؤكّداً أنّه تجرّأ ووجّه توبيخاً شديد اللهجة إلى بطرس، هامة الرسل، حين كانا سويّةً على مائدة الطعام عند الوثنيّين. وصل قوم من عند يعقوب إلى انطاكية، ولمّا رآهم بطرس خاف من أنّهم سيقولون للمسؤولين في أورشليم أنّ بطرس يُؤاكل الوثنيّين، فانسحب عن مائدة الطعام؛ انتقد بولس موقف هامة الرسل لأنّه تصرّف بطريقة مغايرة لمقتضيات الإنجيل الذي لا يضع قيوداً على الاتّكاء مع المرتدّين من الوثنيّة ومجالستهم.

هذه البراهين الثلاثة التي استعان بها بولس تُثبتُ أنّ إنجيل بولس الذي يحمله بين الوثنيّين هو من الله، وقد أيّدته الكنيسة في أورشليم، لذلك فإنّ رسالة بعض المتهوّدين من غلاطية هي فاشلة، ولن يستطيع هؤلاء أن يغيّروا طريقة الرسول في التبشير بين الأمم.

ثالثاً: إنجيل بولس والأناجيل الأخرى

يتفاخر بولس بتسمية البشارة التي يُبشّرها بين الوثنيّين بأنّها «إنجيله»؛ فهو يقول في الرسالة إلى الرومانيّين: «سيظهر هذا كلّه كما أُعلنُ في إنجيلي» (روم ٢:١٦ رج ١٦:١٥؛ ٢ تم ٢:٨). هل يتمايز إنجيل بولس عن الأناجيل الأخرى؟

حين نقرأ الأناجيل بحسب متّى ومرقس ولوقا ويوحنّا، نجد معطيات تروي سيرة حياة يسوع الناصري الذي بشّر في أسواق الجليل واليهوديّة وبعض المناطق الوثنيّة. يروي الإنجيليّون الأربعة الأحداث التاريخيّة ويُعلّقون عليها فتظهر في كل إنجيل وجهة نظر الإنجيليّ التعليميّة الخاصّة به.

غير أنّ هذا الواقع يختلف في الرسائل البولسيّة لأنّ رسول الأمم لا يعرف يسوع التاريخي ولا توجد إشارات تُثبت أنّ بولس يعرف المسيح بحسب الجسد، مع العلم أنّ ٢ كور ٥:١٦ تحتوي على إشارة غير أكيدة عن معرفة بولس للمسيح معرفة شخصيّة. بعد أن اهتدى بولس، تعرّف على المسيح القائم من بين الأموات، لذلك نلاحظ أنّ إنجيل بولس يتمايز نسبيّاً عن سائر الأناجيل، نظراً إلى أنّه يفتقر إلى المعلومات التاريخيّة عن يسوع الناصري. من الواضح أنّنا نجد في إنجيل بولس صورة عن المسيح المُمجد، المنتصر على الموت الذي يرعى كنيسته ويسهر على انتشارها وامتدادها إلى العالم أجمع.

حين ارتدّ بولس على طريق دمشق (أع ٩:٢٦-١٨)، نال من المسيح إنجيله الذي يتمحور حول ضرورة تبشير اليهود والوثنيّين في آنٍ معاً، وهذا الإنجيل هو قدرة الله (روم ١:١٦) لخلاص كل مؤمن، سواءٌ أكان يهوداً أم وثنيّاً. من الواضح أنّ إنجيل بولس يتضمّن شموليّة الخلاص الذي وعد به الله منذ القديم، وقد تحقّق هذا الوعد بانضمام الشعوب الوثنيّة إلى كنيسة المسيح. إنّ رسالة الكنيسة حاليّاً ستبقى دوماً حمل هذا الإنجيل وإعلانه لبقيّة الشعوب الذين لم يتعرّفوا بعد على المسيح. هذه الرسالة تقتضي أن نعيش معطيات البشارة الجديدة بأمانة وصدق فنكون شهود حقيقيّين لإنجيل المسيح.